

بسم الله الرحمن الرحيم

التطورات الدولية والإقليمية

وأثرها على مستقبل المشروع الإسلامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،،،

لا شك أنّ عنوان الورقة يحتاج إلى نقاش عميق، فأهمية الموضوع وضروريته، وتسارع الأحداث وتلاحقها، تجعل منه موضوعاً شائكاً، إلا أنّ الوقت المتاح لتقديمها دفعني لتركيز الموضوع في ثلاثة عناوين وخاتمة:

أولاً: لا بد من كلمة حول المشروع الإسلامي

قضية المشروع الإسلامي قضية جوهرية، ولقد عاصرنا تقلباتها منذ منتصف القرن الماضي حتى يومنا هذا، والاختلافات حول المشروع كبيرة، وقد بدأت مع غياب الدولة العثمانية، وإنهاء الخلافة بل هي في عمق التاريخ الإسلامي، موجودة منذ سقيفة بني ساعدة، مروراً بخروج معاوية على خلافة علي كرم الله وجهه.

حول المشروع اليوم ماهيته، ومركزاته، وعلاقته بالمرجعية الدينية من جهة، وعلاقته بالغرب من جهة أخرى.

وهنا دعونا نتجاوز عن أصحاب النموذج الغربي وإن كان هو السائد في معظم بلادنا، ولكن أصحاب المشروع الإسلامي انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: الأمل على أسلمة المجتمع من خلال الدعوة والتربية والتوجيه حتى تستعيد الأمة هويتها وانتمائها، ثم ننتقل إلى المؤسسات والهيئات ليكون الدين هو مرجعية الإدارة والحكم.

القسم الثاني: دمج الإسلام بالحدثة الغربية، ويأخذ المسلمون التقدم الغربي دون التخلي عن معتقاداتهم وممارساتهم الدينية والأخلاقية.

وإذا انتقلنا إلى التجارب، فهناك تنوع كبير بين السنة (الخلافة) والشيعة (الإمامية)، وبين التجارب أهل السنة أنفسهم، من أفغانستان التجربة الأولى والثانية، والسودان وتركيا ومصر وتونس بالإضافة إلى تنظيمات القاعدة المختلفة، ولا نريد مناقشة التجارب والخروج عن السياق؛ لأن هذا ليس مناط البحث، ولكن أريد أن أقول ماذا نقصد بالمشروع الإسلامي. (التعريف)

المشروع الإسلامي: هو رؤيتنا القيمية والثقافية والسياسية والقانونية والاقتصادية المستندة إلى المرجعية الإسلامية القادرة على عودة الدين ليقود الحياة.

ثانياً: التطورات الدولية وأثرها على مستقبل المشروع الإسلامي.

أستطيع القول بأن ثلاثة حقبت مرت على الساحة الدولية منذ الحرب العالمية الثانية، وترتيب الحالة الدولية ومؤسساتها وهيئاتها.

الحقبة الأولى/

الحرب الباردة والتي استمرت منذ 1945 حتى 26 ديسمبر 1991، وكان في هذه الحقبة توازن معقول يسمح بالعمل عند اختلاف الأجنادات الدولية، معتمداً على أحد الأطراف، وكانت الحروب بالوكالة، وكانت حركة النهضة أو المشروع الإسلامي مستهدف من كلا الطرفين، ولكن بصور مختلفة، والأطراف الدولية كانت معنية بإسقاط القيم والمعايير التي نؤمن بها، وأحياناً يُوظف الإسلاميون أو يتم استخدامهم في أجنادات سرية، وقد حصلت مواجهات عدة بين الإسلاميين وقوى اليسار في مواقع عدة، كأفغانستان والصومال واليمن والشيشان وغيرها، وأحياناً حصلت

تدافعات داخلية كما حصل في مصر، ولكن كان هناك فرصة من خلال تدافعات بينية او داخلية بدأت تنمو منذ السبعينيات ولم تتوقف في العالم الإسلامي رغماً عن الفاعلين السياسيين الكبار، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، فقويت شوكة أصحاب المشروع الإسلامي بمختلف توجهاتهم حتى أضحوا قوة لا يُستهان بها، وأداروا دولاً عدة، كإيران وأفغانستان والسودان، وفازوا في كل انتخابات كانت تُجرى في تلك المرحلة.

الحقبة الثانية/

ما بعد الحرب الباردة وسماتها

- تفرد أمريكا على العالم، وتمدد المؤسسات الدولية لتصبح المعايير الأمريكية هي الأساس.
 - معاقبة كل من يخرج عن السياسة الأمريكية بالحصار أو الحرب أو العقاب على كافة الأصعدة، دولاً ومؤسسات وأفراد، وحماس كجزء من العالم الإسلامي السياسي نموذجاً.
 - أصبحت الأمم المتحدة وهيئاتها أدوات عند السياسة الأمريكية.
 - تمدد الغرب غرباً، وضم معظم الدول التي استقلت عن الاتحاد الروسي.
 - استبدال العدو المركزي لأمريكا والغرب بما يسمى بالإرهاب، وخاصة الإرهاب الإسلامي كما ادعى الغرب زوراً، وتوسع في ذلك لكل من يخالف السياسة الأمريكية، ورسم صورة ذهنية وضغط على دول المنطقة لتتبني سياساته.
 - تم احتلال أفغانستان في 6 أكتوبر 2001، ثم تم احتلال العراق في مارس 2003.
- وبسبب تفرد أمريكا في المنطقة تراجعت القضية الفلسطينية من حيث:

1. تم الاعتراف بالقدس موحدة وعاصمة للكيان الصهيوني.

2. تم نقل السفارة الأمريكية للقدس.
3. تم إغلاق مكتب م.ت. ف، ووقف المساعدات عن الفلسطينيين في السلطة والأنروا.
4. تم الاعتراف بضم الجولان للكيان الصهيوني.
5. تم الاعتراف بشرعية الاستيطان في الضفة الغربية.
6. تم إطلاق مشروع صفقة القرن.
7. تم تمويل المشاريع الممهدة لصفقة القرن في المنطقة العربية بعشرات المليارات.
8. تم إجهاض كل مشاريع النهضة الإسلامية أو الإسلام السياسي في المنطقة، خاصة السودان، اليمن، مصر، تونس، ليبيا، وفشلوا في فلسطين.
9. كل الانهيارات في الإقليم بسبب تفرد أمريكا في العالم.

الحقبة الثالثة: المرحلة الراهنة

- الولايات المتحدة غير قادرة على ممارسة ما كانت تفعله في المرحلة السابقة، فالاختلافات الداخلية برزت لأول مرة، وتكاليف أعمالها العسكرية في مختلف دول العالم أرهاقها، خاصة في العراق وأفغانستان، وانكفأت دون أن تحقق ما أردت.
- الاختلافات مع أوروبا ونظرة أمريكا إلى الاتحاد الأوروبي، وتشجيعها لبريطانيا للخروج منه.
- نهضة الاتحاد الروسي ومواجهة السياسة الأمريكية في أوكرانيا، وعدم كفاية الأدوات المستخدمة لهزيمة الروس، وإرهاق المجتمعات الأوروبية بشكل خاص في مسألة الطاقة والغذاء وخاصة مع قدوم الشتاء.
- زهاب الصين بعيداً في اقتصادها، واحتمال منافسة الولايات المتحدة بعد عشر سنوات، واستغلالها لانشغال أمريكا في محاربة الارهاب ومشاكلها في العراق وأفغانستان، فعززت من

اقتصادها، وصنعت لنفسها اقتصاداً تشاركياً مع الدول في مشروع الحزام والطريق، مع إدراكها أنّ معركة أوكرانيا هي مقدمة لمواجهة الصين، ولذلك فإنّ الصين وكثير من دول العالم خاصة في منطقتنا العربية لم تقف مع السياسة الأمريكية.

إنّ التغيير نحو عالم متعدد الأقطاب مصلحة مطلقة لكل شعوب المنطقة، حيث إنّ روسيا لا تتدخل في شؤون الدول الداخلية، ولا تفرض على الدول سياسات اقتصادية واجتماعية على مقاسها، وهي دولة ذات موارد طبيعية، ومساحة جغرافية كبيرة 17 مليون كم2، وقوة عسكرية ونووية معتبرة.

أما الصين فكذلك لا تفرض رؤيتها على الآخرين، ولا شروط لديها في بنية الدولة ولا تشجع على التحول الديمقراطي ولا تطالب بإصلاحات داخلية. كما أن علاقات الصين الاقتصادية مع جميع دول المنطقة **فالسعودية** نصف إنتاجها يذهب للصين، وهي في الوقت نفسه الشريك الأكبر لإيران، رغم العداء بين الدولتين.

بناءً على ما تقدم فإنّ هناك فرصة تبدو للنهوض بالمنطقة بعيداً عن أمريكا، لكن أمريكا قد تبدأ ليست المقررة لوحدها في شؤون المنطقة كما كان سابقاً.

وجود عالم متعدد القطبية لا يجعل الغرب يفرض قيمه ونظريته، ويجعله يحترم خصوصيات الدول الثقافية وتقاليدها، وهذا بحد ذاته يشكل فرصة كبيرة لاحترام قيم الدين وأعراف مجتمعاتنا والتعددية العرقية، والمذهبية الدينية، بدلاً من أن يجعل هذه القضايا مشتعلة لصالح مصالحه ومخططاته.

ثالثاً: مستقبل المشروع الإسلامي

1. المتغيرات الدولية والاقليمية هي متغيرات محفزة لدراسة صادقة وشفافة لواقع المشروع الاسلامي، وعلاج الاشكاليات الذاتية وتجاوزها لوجود فُرصة من خلال فقدان الامريكان للتفرد.
2. طبيعة للمشروع الاسلامي أنه لا يستند إلى أفكار ايديولوجية فردية وإنما نبع من حاجة الناس وسؤالهم عن مكانة الاسلام في المجتمع، ولهذا نجد أنه لم ينشأ تنظيم واحد كان رائد لهذا المشروع، وإنما في كل قُطر مسلم برز مجموعات تتشارك في الخطوط العريضة لهذا المشروع، لأنهم عبارة عن إجابة عن أسئلة ملحة لدى الشعوب حول الاسلام ودوره في الحياه.
3. طبيعة المشروع تمنحه قوة وصلابة وديمومة لا توجد في غيره، ولكن هنالك أسئلة ملحة اليوم ومن أهمها كيف تُعيد قوى الاسلام الحركي أو الإسلام السياسي تقديم نفسها للشعوب بعد انكسار موجة الربيع العربي ودفع التيار الاسلامي ثمن كبير، وكذلك أسئلة تتعلق في تقييم المرحلة الماضية للمضي قدمًا في المرحلة القادمة في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية الجارية.
4. يجب أن نعتزف أننا لم ننجح ووقع علينا خسائر فادحة، لكن لم ينتهي المشروع ولم يُقتلع، وهو باقي وموجود، وإنَّ أفضال تجربة المشروع الاسلامي في ادارته للدولة الحديثة هو أمر متوقع وليس مفاجئ، لأقصائه عن الادارة وانعدام التجربة والإرادة الامريكية ولا يتوقع عاقل أن يستقبله خصومه أو أعداءه اقليميًا ودوليًا بالورود، وبالتالي يجب إجراء تقييم موضوعي جريء للتجربة الماضية، وهي تجربة مليئة بالأخطاء، ودون هذا التقييم الذي ينبنى عليه إجراءات سيكون المستقبل كالماضي.
5. حتى هذه اللحظة لم يجري نقاش حقيقي حول المستقبل عطفًا على القيام بإجراءات عملية، فواقع اليوم يختلف عن سابقه، ونحن أمام جيل مختلف عن السابق، بل هو جيل حال بيننا

وبينه آثار الربيع العربي فنجد أن دولة مركزية كمصر هنالك حاجز بيننا وبين الجيل الجديد منذ قرابة عقد، وهذا له انعكاسات سلبية إن لم يجري استدراكها.

6. نحن بحاجة إلى ضبط الخلاف بين القوى الإسلامية، حتى لا نأكل بعضنا بعضًا، كما علينا الحفاظ على المحطات المضيئة في مشروعنا الإسلامي حتى تبقى ملهمة وتساهم في إعادة انطلاق المشروع الإسلامي، ومن أهم هذه المحطات المشروع الجهادي في فلسطين الذي تمثله الحركة، فهو يؤثر ايجابيًا على مجموع الشعوب العربية والإسلامية، ولهذا نتجاوز عن الخلافات الصغيرة في الرأي حتى لا نهدم قلاعنا بأيدينا.

7. نحن أمام جملة من الفرص، كما أننا أمام تحديات ليست بالهينة، ولهذا فإن رواد المشروع الإسلامي بحاجة إلى مقاربة اجتماعية وسياسية جديدة، قادرة على التعامل مع المتغيرات الدولية والإقليمية وكذلك المحلية، وقادرة على تجاوز عثرات الماضي.

أخيراً: الخلاصة

هناك فرصة لمشاريع النهضة في ظل عالم متعدد القطبية وهناك مستقبل للمشروع الإسلامي واعد، وذلك بتخفيف الضغوط على مجتمعاتنا ودول المنطقة كنتيجة لتعدد الاقطاب. وهناك أيضاً مساحات من العمل مع الصين وروسيا، وحتى الغرب بعيداً عن الإملاءات الأمريكية، خاصة بوقف تعميم رؤى الغرب ومبادئه وتصورات، وهناك دعوة روسية للحوار مع الحركات الإسلامية، وهناك المؤتمر الصيني الخليجي العربي، وكلها مشاريع تخدم المنطقة والمشروع الإسلامي، وإخراج إسرائيل من المنطقة، والعمل على وقف الدعم الغربي أمر في غاية الأهمية، ولا يتأتى هذا إلا إذا كنا نداءً للغرب ومصالحه، ولماذا لا نكون القطب الرابع نحن والهند وافريقيا، وتحقيق ما نسعى اليه من نجاح لمشروع الامه المركزي بتحرير القدس وفلسطين.